جامعة الشهيد حمة لخضر
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

نموذج الإجابة. رقابة الدراسات المقارنة. السنة الأولى ماستر أدب حديث

1. عرف الأدب العربي – شعرا ونثرا – ظاهرة التأثير والتأثر منذ ظهوره، كما استخدم الأدباء كلمات أجنبية فارسية وإغريقية، وذلك لاختلاط العرب بغيرهم من الشعوب، لكن لم يتطرق المؤرخون القدامى لتبادل النصوص والاستعارات ولا لكيفية انتقالها. غير أن الجاحظ (ت 253هـ–867م) كان قد تحدث في كتاب "البيان والتبيين" عن بلاغة الفرس والهند والروم ، وأشار إلى بعض الخصائص المشتركة بينها و بين بلاغة العرب مقارنات الجاحظ بين آداب الأمم الأربعة الكبرى في عصره، لم تكن مبنية على منهج بل اعتمدت على أفكار ذاتية أكثر منها موضوعية. كما قارن الجاحظ بين الشعر الفارسي والشعر الإغريقي والشعر العربي ، وهذا يعني أن الجاحظ كان على دراية بهذه اللغات فوجدها تختلف من حيث الإيقاع والقافية ، كما عرف الأدب العربي الموازنة منذ أن وجد، كما عرف أيضا المحاكم والأسواق الكلامية منذ العصر الجاهلي، وقد تطورت هذه الموازنات في الأدب العربي وألفت فيها الكتب. ومن أشهرها "الوساطة بين المتنبي وخصومه" للقاضي الجرجاني (ت 152هـ–769م)، و"الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري" للآمدي . (9) (ت 370هـ–981م) فالجرجاني أراد التوسط بين المتنبي وخصومه، وأما الآمدي فقد قصد المفاضلة بين البحتري وأبي تمام، غير أن هذه الموازنات كانت ذات طابع جمالي بحت ولم تتطرق إلى ظاهرة التأثير والتأثر.

2– بداية الدراسات المقارنة عند العرب: ظهرت محاولات في منتصف القرن التاسع عشر في العالم العربي، يمكن عدها من البدايات الأولى للأدب المقارن عند العرب. وكان دعاة التجديد يهدفون من وراء تفتحهم على أورو با تعريف القارئ العربي بآداب الغرب التي بلغت مرحلة متقدمة من التطور، في حين عرف الأدب العربي من المحيط إلى الخليج مرحلة طويلة من الانحطاط. ويمكن اعتبار رواد النهضة العربية هم أصحاب البدايات الأولى للأدب المقارن في العالم العربي، لقد ركزوا على دراسة التشابه والاختلاف بين الأدب العربي والآداب الغربية الحديثة، ولم يتطرقوا إلى دراسة التأثير والتأثر، لأن فضل أدب أمة على أدب أمة أخرى لم يكن من اهتماماتهم، عكس ما ذهبت إليه . المدرسة الفرنسية عند اشتراطها للصلات التاريخية بين الآداب ورغم ارتباط دراسات الرواد العرب الأوائل بالنهضة العربية رغبة منهم في الإفادة من الآداب الغربية، إلا أن اعتمادهم على دراسة التشابهات والتوازي بين آداب الأمم وعدم تطرقهم إلى ظاهرة التأثير والتأثر، يدل على أنهم قد سبقوا الاتجاه النقدي الأمريكي بأكثر من نصف قرن. ومع ذلك فإن المقارنين الذين جاءوا من بعدهم لم يتبعوا رواد النهضة العربية في دراسة التشابهات ضمن الأدب المقارن، وانساقوا وراء مبادئ الاتجاه الفرنسي أو المدرسة العربية في الأدب المقارن . وكان رفاعة الطهطاوي وعلي مبارك وأديب إسحاق وأحمد فارس الشدياق ويعقوب صروف وغيرهم، قد قاموا بمقارنة بعض مظاهر الثقافة العربية بالثقافة الغربية ودرسوا جوانب من التشابه والاختلاف بينهما. وهذه الدراسات التي ظهرت على امتداد النصف الثاني من القرن التاسع عشر تعتبر البدايات الأولى للأدب المقارن عند العرب. ويمكن اعتبار رفاعة رافع الطهطاوي (ت 1290هـ–1873م) أول من تطرق إلى البحث المقارن بين الثقافات الشرقية والغربية، وكان قد سافر مع البعثة الطلابية إلى فرنسا سنة 1826م، و بعد عودته إلى مصر سنة 1831م، ترجم عدة أعمال فرنسية إلى العربية كما ألف كتابه المشهور "تخليص الإبريز وهو مقارنة سطحية بين الثقافتين العربية والإفرنجية. وفي أواخر القرن التاسع عشر تناول رواد النهضة الفكرية العرب الآداب الغربية بالدراسة ومقارنتها بالتراث العربي، كما اهتموا أيضا بالترجمة

والاقتباس من التراث الغربي. ولم يتطرق هؤلاء النهضـــويون العرب إلى ظاهرة التأثير والتأثر، بل كان هدفهم تعريف القراء ببلاغة الإفرنج والإفادة منها في نهضـة الأدب العربي. لقد كتب يعقوب صـروف مقالة في مجلة "المقتطف" بعنوان "الانتقاد" عام 1887م، قارن فيها بين النقد العربي والغربي، داعيا النقاد العرب إلى الاقتداء بالنقاد المشـهورين في الغرب الذين تطورت عندهم الدراسـات. وكذلك كتب نجيب الحداد، مقالة في مجلة "البيان" سنة 1897م الأدبية بعنوان "مقابلة بين الشعر العربي والشعر الإفرنجي"،

3.– الدراسات المقارنة في بداية القرن العشرين :أول من تناول ظاهرة التأثير والتأثر إلى جانب التشابه والتوازي بين عدد من النماذج الأدبية المختلفة، هو روحي الخالدي في كتابه "تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب وفيكتور هوجو" الذي صـــدر لأول مرة عام 1904م، ومن خلال عنوان الكتاب، يكون الخالدي أول من استخدم مصطلح "علم الأدب". وبهذا، تكون دراسة روحي الخالدي أشمل وأوسع من الاتجاه التاريخي التقليدي الذي اقتصر على المقارنة بين أدبين فقط، وحصرها بين التأثير والتأثر. لقد تناول في كتابه التشابه بين الشعر الإفرنجي والشعر العربي السابق له، كما تناول أثر الشعر الأندلسي في بعض أشكاله ومضامينه في شعر التروبادور (Troubadours (الجنوبيين والتروفير (Trouvères (الشماليين، وتأثر قصص الإفرنج بقصص عربية في العصور الوسطى، معتمدا على الصلات التاريخية بين . الآداب ى. وفي عام 1904م، ترجم سليمان البستاني "إلياذة" هوميروس (Homère .(تطرق في المقدمة إلى حياة هوميروس وشعره والأدب اليوناني والأورو بي. كما تناول في المقدمة أيضا، أوجه التشابه والاختلاف بين الأدب العربي والأدب اليوناني، وقارن بين أنواع الشعر عند العرب والإفرنج، أما الأديب قسطاكي الحمصي الحلبي فقد كتب في مطلع القرن العشـرين عدة دراسـات في مجال المقارنة بعد اطلاعه على مؤلفات سـانت بوف وبرونتيير) r (وغيرهم من النقاد الفرنسيين الذين كان لهم الفضـل في نشـأة المدرسـة الفرنسية. لقد حاول من خلالها تعريف الأدباء العرب بالاتجاهات النقدية لدى الغرب. وفي كتابه "منهل الورّاد في علم الانتقاد" تناول في الجزء الثالث منه تأثر دانتي أليغييري (Alighieri Dante (برسالة الغفران . جاء عنوان الدراسة "الموازنة بين الألعوبة الإلهية ورسالة الغفران (20 (للمعري وبين أبي العلاء المعري ودانتي شاعر الطليان"، وهو يعتقد أنه أول من نبه – في بداية القرن العشـرين – على اقتباس دانتي الشـاعر المشـهور ألعوبته الإلهية من رسـالة الغفران

4– التأليف المنهجي في الأدب المقارن: وفي سنة 1948م صدر كتاب "من الأدب المقارن" لنجيب العقيقي، وهو عبارة عن دراسات في الأدب والنقد لا علاقة لها بالأدب المقارن، وكأن المؤلف لم يقرأ كتابا واحدا في الأدب المقارن، رغم أن دراسات عدة في هذا الميدان ظهرت منذ بداية القرن العشرين في مجلات "المقتطف" و"الرسالة"،. وفي عام 1949م ظهر كتاب عبد الرزاق حميدة بعنوان "في الأدب المقارن"، الذي قارن فيه بين "رســالة الغفران" للمعري و"الـــــكوميديا الإلهية" لدانتي من الناحية الجمالية دون التطرق إلى الأثر والتأثير بينهما، فكانت الدراسـة عبارة عن موازنة. وفي سـنة 1951م أصـدر الدكتور إبراهيم سـلامة كتابا بعنوان "تيارات أدبية بين الشـــرق والغرب، خطة ودراســـة في الأدب المقارن"، تناول بالمقارنة الأدبين العربي والإغريقي في كل الفنون تقريبا دون التطرق إلى الصلات التاريخية بينهما، وهو بذلك لم يتبع طريقة المدرسة الفرنسية في هذا المجال. وظلت هذه الدراسات سطحية في سـنوات الأربعينيات، إلى أن تطور التأليف في الأدب العربي المقارن في سـنوات الخمسـينيات على يد جماعة من الباحثين العرب الذين درســوا في الجامعات الغربية، فظهرت كتب في ميدان . (24 (المقارنة الأدبية بفضـــل ترجمات عدة أعمال من الآداب الغربية إلى العربية وفي سنة 1953م أصدر محمد غنيمي هلال كتابه الموسوم "الأدب المقارن"، ومن خلاله تعرف القارئ العربي على المنهج الفرنســي في الدراســات المقارنة. وظل هذا الكتاب مرجعا في الأدب المقارن لأكثر من عقدين في الجامعات العربية، ثم أصــدر كتبا أخرى وكانت في مجملها، عبارة عن تكرار لما جاء في كتابه الأول. كان محمد غنيمي هلال الذي درس في فرنســـا لا يرى في كتبه من الأدب المقارن إلا الاتجاه التاريخي، ولم نر أثرا لجهود الباحثين العرب الذين ســـبقوه؛ لقد ألغى من دراســـاته حتى الذين جاء بعدهم بزمن قصـــير. فبدلا من أن يســـاهم في تحديد ملامح الاتجاه العربي في هذا المجال، راح ينقل حرفيا ما ورد في كتب فان (.M.F

Guyard) وغويار) J.M. Carré) وكاريه) P. Van Tieghem) تيجم وغيرهم ممن عملوا على ترويج مبادئ الاتجاه التاريخي، وكان في الكثير من الأحيان لا يذكر المصادر الفرنسية التي اعتمد عليها.

المدرسة العربية في الأدب المقارن ، يرجع الفضل إلى محمد غنيمي هلال في إرساء علم الأدب المقارن النظري عند العرب، ولا يزال الـــكثير من الباحثين العرب يعتمدون على كتابه الأول "الأدب المقارن"، فبواسطته تعرف الدارسون العرب على ميادين الأدب المقارن وموضوعاته وأعلامه.

5. مرحلة النضـــج والازدهار: أما في الثمانينيات، وبعد ظهور اتجاهات أخرى في الأدب المقارن، ظهر جيل جديد من المقارنين العرب تناولوا الدراسات المقارنة الأكاديمية مع مراعاة النسق الأدبي العربي. فبالإضافة إلى الـــكتب، تخصص بعض طلاب الدراسات العليا في الأدب المقارن وأنجزوا مذكرات وأطاريح في هذا المجال، كان معظمها حول ظاهرة التأثير والتأثر بين الأدب العربي والآداب الأورو بية وعلى وجه الخصوص، الصلات الأدبية بين الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الغربية في العصور الوسطى. وكان للمجلات العلمية المتخصصة في الآداب العالمية والأجنبية التي ظهرت في المشرق وفي المغرب العربي الأثر الـــكبير في اندفاع الطلاب والباحثين نحو هذا الحقل المعرفي الأدبي.

. – خصائص الاتجاه العربي في الأدب المقارن: لقد ركز الرواد العرب الأوائل على دراسة التشابه والاختلاف ولم يتطرقوا إلى دراســـة التأثير والتأثر، لأن فضـــل أدب أمة على أدب أمة أخرى لم يكن من المدرســـة العربية في الأدب المقارن اهتماماتهم، واعتمادهم على دراسة التشابهات والتوازي بين آداب الأمم وعدم تطرقهم إلى ظاهرة التأثير والتأثر، يدل على أنهم قد سبقوا الاتجاه الأمريكي بأكثر من نصف قرن. ومن إسهاماتهم، توسيع البحث المقارن إلى آداب العصور الوسطى والآداب القديمة، ومنها آداب اليونان والفرس والترك والهند وغيرها.